٥ ـ الرمز

الرمز: هو إحداث علاقة بين طرفين، من خلال حذف أحدهما (وهو الطرف الأوّل) وجعل الطرف الآخر (إشارة) لذلك الطرف المحذوف...

وهذا مثل قوله تعالى:

(يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ)، وقوله تعالى (كُونُوا حِجَارَةً أوْ حديداً)، وقوله عليه السلام: ((آه من قلّة الزاد)).

فالظلمات إشارة أو رمز لـ (الكفر)، والنور رمز لـ (الإيمان)، والحجارة رمز لـ (القوّة)، والحديد رمز لـ (الشدّة)، وقلّة الزاد رمز لـ (قلّة الطاعة)...

والفارق بين الرمز وغيره من الصور، أنّ الرمز يتضمّن طرفاً واحداً يرمز إلى طرف محذوف، بينا نجد في الصور الأخرى طرفين مثبتين يقومان على علاقات التشابه أو الإعارة أو التقارب أو التمثيل...الخ.

دلالة الرمز ومسوّغاته: إنّ معنى (الرمز) هو (الإشارة أو الإيماء: لغوياً)، كما أنّه . اصطلاحاً . يعني جعل العبارة (مؤشِّراً) إلى دلالة محذوفة يقوم الرمز نيابة عنها، بصفة أنّه ينطوي على إيحاءات متعدّدة تُكسب الدلالة مزيداً من العمق والتنوّع.

والملاحظ أنّ الاتجاه الأدبي المعاصر يستخدم الرمز بنحو مكثّف حتّى ليكاد يتميّز بطغيان هذا العنصر على غيره من صور التشبيه والاستعارة ونحوهما. والسّر في ذلك، أنّ الكلمات بشكل عام محدودة (من حيث عددها)، لذلك فإنّ استخدام (العبارة الرمزيّة) تسمح لمزيد من إمكانات التعبير: ما دام الرمز يحمل إيحاءات وتكثيفاً للدلالات في أدقّ وأشمل مستوياتها... ومن هنا عُرّف الرمز . في اللغة الأدبيّة المعاصرة . بأنّة (تعبير محدود عن اللاّمحدود) أي: أنّ الرمز (مثل عبارة النور) هو تعبير محدود (كلمة واحدة أو أكثر) ولكنّها تعبّر عن معان ودلالات لا محدودة، متنوّعة مثل: الإيمان، الخير، العطاء، البشارة، النعيم، الحبّ... الخ.

وفي ضوء هذه الحقائق ندرك المسوّغات الفنية لاستخدام الرمز وهي: أنّ الدلالات التي يستهدف إبرازها إلى القارئ أو السامع تكون حيناً من التنوّع والعمق والشمول، بحيث يتطلّب تفصيلاً وتطويلاً يبتعثان الملَلْ في النفوس، مضافاً إلى أنّ كثيراً من هذه الدلالات يمكن أن تحقّق الإثارة عند القارئ في حالة ضغطها ولمّها في عبارات مكثّفة ذات إيحاء: بحيث يتداعى الذهن من

خلالها إلى أكثر من دلالة، لأنّ الإيحاء يعني أنك تستخلص وتستنتج وتستوحي من عبارة واحدة عشرات المعاني التي يختزنها ذهن الإنسان. فعبارة النور والظلمات في الآية القرآنية المتقدّمة، يمكن أن يستوحي منها القارئ جملة من المعاني التي أشرنا إليها مثل الإسلام، الإيمان، العطاء دنيويّاً وأخرويّاً، وكذلك بالنسبة للإيحاءات التي تبتعثها (الظلمات)، حيث يتداعى الذهن من خلالها إلى معاني الكفر، والفسق، والشرّ، والانحراف، والصراع والتمزّق...الخ.

وبما أنّ كل شخص يمتلك تجربة خاصّة تختلف عن الآخرين، لذلك فإنّ استخدام العبارة الرمزيّة التي ترشّح بعدة إيحاءات، تكون أكثر فاعليّة من العبارة غير الرمزيّة، لأنّ كل شخص يستخلص منها معاني تتناسب مع خبرته الثقافيّة، وهذا على العكس ممّا لو حدّدنا له لفظاً معيّناً، حيث سيجمد القارئ على المعنى اللغوي لهذا اللفظ... ولهذا السبب نجد أنّ القرآن الكريم وأهل البيت يستخدمون (الرمز) في سياقات كثيرة تتطلّب أن يعمل فيها ذهن الإنسان ليستخلص بنفسه ما تتضمّنه من دلالات متنوّعة تتناسب مع تجربة كل شخص، على نحو ما نلحظه لاحقاً.

٦ ـ الاستدلال

الاستدلال: هو إحداث علاقة بين طرفين، من خلال جعل أحدهما (وهو الطرف الآخر) استدلالاً على الطرف الأوّل، ... وهذا من نحو قوله عليه السلام: ((الشجرة البرّيّة أصلبُ عوداً) مستدلاً بذلك على أنّ تناول القليل من الطعام لا يؤثر على قوى الشخص. ويمكننا توضيح ذلك حين نلحظ السياق الذي ورد فيه هذا الاستدلال الصوري، وهو قوله عليه السلام ((وكأنّي بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت علي بن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان. ألا وإنّ الشجرة البرّيّة أصلبُ عوداً، والروائع الخضرةَ أرقُّ جلوداً، والنباتات البدويّة أقوى وقوداً وأبطأ خموداً)).

إذن: جاء هذا الاستدلال تعقيباً على من يتخيّل بأنّ قلة الطعام تمنع البطل من مقاتلة العدو، فاستدل على بطلان ذلك بأن الشجرة البرّيّة . وهي الشجرة التي لم يتعهّدها الإنسان بالرعاية: من حيث السقي والحرث وغيرهما . أصلبُ عوداً من الشجرة التي تنبت في المكان المصحوب بالتعهّد وبالرعاية وبكثرة السقي ونحوه،...

الاستدلال والتشبيه: وفي ضوء الحقائق المشار إليها، يمكننا أن ندرك الفارق بين الاستدلال والتشبيه، فقد كان بالإمكان أن يشبّه الإمام علي عليه السلام قلّة الطعام وأثره بالشجرة البرّيّة،

ولكنّه ما دام في موقف يتحاور من خلاله مع الآخرين (كأنّي بقائل)، حينئذ فإن طبيعة الحوار تقوم على توجيه الخطاب إلى الآخرين واستثارتهم مباشرة من خلال تقديم نماذج حسيّة يضعها أمامهم، ممّا لا تتّسق مع أداة تشبيه، بل تتّسق مع تقديم نموذج يضعه أمام أنظارهم لا أن يشبّه هذا النموذج به، حتّى يكون تأثيره أشدّ.... يُضاف إلى ذلك، أنّ الاستدلال هو محاكمة عقليّة تجعل القناعة بالشيء أشدُّ ممّا لو يُساق الكلام بغير استدلال... كما أنّ الاستدلال . في الغالب . يقترن بـ (الحكمة)، حيث تجيء غالبيّة الصور الاستدلاليّة مقرونة بالحكمة، مثل قوله عليه السلام ((من سلك الطريق الواضح ورد الماء)).

ومن الواضح أنّ الحكمة تستثير الإنسان أكثر ممّا تستثيره اللغة الخالية منها...

طبيعيّاً، أنّ السياق هو الذي يتطلّب (الحكمة) و(الاستدلال) حيناً، ويتطلّب التشبيه والاستعارة أو الرمز حيناً آخر،... ففي النموذج الذي قدّمناه يكشف عن أنّ الموقف يتطلّب استدلالا، ويتطلّب تقديم (حكمة) بالنسبة إلى ظاهرة الطعام، فالكثير من الناس يُخَيَّلْ إليه بانّ تناول القليل من الطعام يؤثّر على قواه، وحينئذٍ لا بدّ من تقديم استدلال يدحض هذه المقولة فكان هذا وحده كافياً لأن يكون مسوّغاً لهذا النمط من التركيب الصوري.

الاستدلال والرمز: هنا ينبغي أن نُشير أيضاً إلى الفارق بين الاستدلال والرمز (ليس من حيث مسوّغاتهما) بل من حيث تركيبهما الفني، فالاستدلال يقوم على طرفين موجودين هما . في النموذج الذي قدّمناه . (قلّة الطعام) و(الشجرة البرّيّة). أمّا في الرمز فإنّ الطرف الأوّل (يُحذف) فيه، فيكون الفارق بينهما وجود الطرف الأوّل أو حذفه، فإذا وجد: فنحن أمام (استدلال) وإذا حُذِفَ: فنحن أمام (رمز)...